



القصة الجزائرية القصيرة ومسارات التجديد

Algerian Short Story and Renewal Paths

جمعة مصاص

جامعة خنشلة (الجزائر)، messas.djemaa@univ-khenchela.dz

ملخص:

القصة القصيرة جنس أدبي ظهر على الساحة الأدبية، وكان له حضوره المميز وخصوصيته التي تشد إليها طائفة من القراء والمهتمين. وكثيرا ما يتم الخلط بين القصة والرواية، ذلك أن هذه الأخيرة تسع هموما كثيرة، في حين تكتفي القصة القصيرة بتناول موضوع واحد فيه سرد لأحداث حصلت لشخصية أو شخصيات في زمن ومكان محددين وقد تكون أحداثها متخيلة أو واقعية أو تجمع بين الواقعية والتخييل السردية هادفة إلى وضع القارئ في جو القصة القصيرة ليعيش أحداثها ويتفاعل مع شخصيتها. وهذا ما تروم هذه الدراسة البحث فيه عبر الكشف عن مسارات التجديد والتداخل الأجناسي في القصة الجزائرية القصيرة بتبيان ملامح التجريب ومظاهر التجديد التي توشحت بها وتفاعلت معها.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة الجزائرية؛ الجنس الأدبي؛ التجريب؛ التجديد؛ السرد؛ النص.

Summary:

The short story is a literary genre that emerged in the literary scene and has its distinctive presence and uniqueness that attracts a group of readers and enthusiasts. Often, there is confusion between the short story and the novel, as the latter deals with many concerns, while the short story focuses on a single subject, narrating events that happened to a character or characters in a specific time and place. These events can be imaginary, realistic, or a combination of realism and narrative imagination, to immerse the readers in the atmosphere of the short story, allowing them to experience its events and interact with its characters.

المؤلف المرسل: جمعة مصاص ، الإيميل: messas.djemaa@univ-khenchela.dz

This study aims to explore the paths of renewal and the interplay of genres in the Algerian short story, highlighting the aspects of experimentation and manifestations of renewal that it has embraced and interacted with.

Keywords: Algerian short story, literary genre, experimentation, renewal, narrative, text

1. مقدمة:

تعد القصة الجزائرية القصيرة تجربة إبداعية سردية قادرة على التعبير بما تمتلكه من مقومات فنية وخطابية ولغوية عن قضايا مختلفة، استنادا إلى فنون وأجناس أدبية مختلفة، تم إدماجها في الهيكل البنائي للقصة والرواية. ولعل من أبرز الكتاب الذين اتخذوا خط المغامرة في القصة القصيرة المعاصرة: بشير مفتي، علاوة كوسة، السعيد بوطاجين، نسيم بوضلاح، وافية بن مسعود، لامية بلخضر، عز الدين جلاوي، عمارة لخص... وغيرهم كثيرون ممن تجاوزوا طابع الرتبة الروائية بكسر الطابوهات ومحاذة الممنوع وعبر انتهاج آليات وتكتيك جديد ومن خلال "مايسود المجتمع من هموم ومشاكل وتناقضات متعددة"¹

2- القصة الجزائرية القصيرة من التأسيس إلى التجنيس

تأخر ظهور القصة القصيرة في الجزائر، مقارنة بمثيلاتها في المشرق العربي، ومرد ذلك أسباب كثيرة، أبرزها السياسة الاستعمارية التي عملت على إفقار الشعب الجزائري ثقافيا ومعرفيا، إلى جانب غياب تكفل هيكلي بالنشاطات الثقافية والأدبية إلى جانب "تأخر النهضة الثقافية العربية في الجزائر وعدم الإيمان بدور القصة، الأمر الذي لم يسمح بوجود جولها كي تظهر كشكل أدبي مكتمل"² وقد كان لاتصال الجزائر بدول المشرق العربي وبلدان المغرب العربي، أثر كبير في بروز هذا الفن، فبدأت الرؤية القصصية في التشكل، وكانت البداية بظهور المقال القصصي في أواخر الثلاثينيات.

وتذهب عائدة أديب بامية إلى أن "أول قصة قصيرة هي "دمعة على البؤساء" كتبها علي بكر السلامي"³؛ غير أن معظم الدارسين يتفقون على أن أول قصة جزائرية قصيرة هي قصة "فرانسوا والرشد" لمحمد سعيد الزاهري، وقد نشرت على صفحات الجرائد. ولا نبالغ إذا قلنا أن الثورة التحريرية هي أكبر ملهم للقصة الجزائرية القصيرة، فباندلاع هذه الثورة "تغير كل شيء فوق الأرض، ومعها مفهوم القصة الجزائرية بمفهومها السليم.. بل كانت الطفرة التي نقلت القصة من الموضوعات السائدة والمستهلكة إلى

المضامين الثورية المنفعلة بالواقع الجديد، فالقصّة الجزائرية لم تتضح فعلا، ولم تتوفر لها عناصر الفن، إلا أثناء الثورة وبسببها⁴، وعليه فإن الثورة التحريرية الجزائرية مثلت مرحلة الانطلاق الفعلي والفني للقصّة القصيرة وأساسا لبنائها، فقد استمد الكتاب أبطالهم من الثورة "من دنيا الواقع وسط الدم واللب" ⁵ بعد أن كانوا قبل ذلك من صنع الخيال ثم ما لبثت القصّة الجزائرية القصيرة أن واكبت التطور الحاصل بعد الاستقلال ومرحلة بناء المؤسسات.

لقد تعددت مواضيع القصّة الجزائرية القصيرة "بين الثورة كماضي، والثورة كحاضر، والهجرة إلى المدن أو إلى الخارج، إضافة إلى المشاكل الجديدة، والتطورات التي حدثت في المجتمع الجزائري"⁶، وهو ما أضفى على ثيمات القصّة القصيرة نوعا من الواقعية وطرح انشغالات الفرد والمجتمع الجزائري.

وبالنظر إلى تغيرات البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سرعان ما خضعت القصّة الجزائرية القصيرة إلى مبضع التجريب استجابة لجديد الحركة الأدبية العالمية المنادية بالخروج عن الثابت وتجاوز الأشكال التقليدية والنمطية، فلجأ الأدباء الجزائريون إلى "استخدام الأسطورة، والحكاية الشعبية أو القصص الشعبي العربي القديم، وهناك تجارب قصصية قليلة استخدمت أيضا الخيال العلمي"⁷، يتجلى ذلك في قصة "المصاصة" لمحمد الصالح حرز الله، وقصة "جفاف الآبار الارتوازية" لجيلالي خلاص.

ويتضح التجريب في القصّة الجزائرية القصيرة، بسعيها للتفتح على الآخر، وإعراضها عن الشكل الكلاسيكي السائد، وتواشجها وانسجامها بفنون تعبيرية أخرى كالشعر والمسرح والسينما، فتخلت بالتالي على نمطيتها وانتهجت أساليب جديدة لتشديد ذاتها، فظهرت أشكال غير مطروقة من قبل كالقصّة القصيرة جدا والرسائل، وتداخل النصوص وفن اللقطة السيميائية وغيرها من الفنيات⁸، لتواكب التطور الحاصل على المستوى الأدبي شأنها شأن الفنون والأجناس العالمية.

3- ملامح التجريب ومظاهر التجديد في القصّة الجزائرية القصيرة المعاصرة

احتلّ التجريب فضاء واسعا في متن الأعمال الأدبية ما فتئ يتوسع شيئا فشيئا في أفضية الكتابة القصصية الجزائرية الراهنة، وخاصة بعد أن أصبح ينظر عليه كجمالية أدبية "فتحررت من ذلك الشكل الكلاسيكي الذي كان يسجنها في إطار ما يسمى "بالقالب

القصصي، وأصبحت لها مساحات جديدة للتجريب والتخييل حتى أنها اقتربت من القصيدة الشعرية التي تتميز بالرؤيا بدل الرؤية"⁹، فانبنت بالتالي على تقاطع الأجناس الأدبية وتماسها بالجماليات على مستوى كل من اللغة، العنونة والشخصيات واستدعاء التراث. فالتجريب هو "ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته، عندما يتجاوز المؤلف ويغامر المستقبل"¹⁰ وهكذا فالتجريب هو خلخلة السائد والخروج عن المؤلف، من أجل فتح آفاق وأشكال جديدة للخطاب والتواصل.

كما يعد الفضاء من ركائز الأعمال الروائية؛ إذ يمثل أحد أهم أعمدها التي تؤسس لمجموع الأمكنة التي تعانق الأحداث؛ حيث شغل حيزا كبيرا في رسم ملامح الرواية الجزائرية المعاصرة، متجاوزا بذلك ملامح الحضور التي طرحتها الرواية التقليدية، مترفعا عن كونه عنصر تأثيث؛ إذ راح يعاكس هذا الجماد عبر ما قدمته المدينة -بوصفها جزء من الفضاء- من حراك غير مسبوق، وهو ما يؤكد نضج الرؤية الروائية لدى الكتاب الجزائريين؛ عبر اعتماد التجريب الذي لامس جميع مكونات الرواية: بدءا من الشخصيات مروراً إلى الأحداث، وصولاً إلى الاشتغال على رؤية الفضاء من منظور جديد ومختلف.

ليتسع الفضاء داخل المنجز الروائي ويشمل المدينة؛ التي تبرز فضاء للحدث ليس بمفهوم (المكاني) فحسب؛ بل بمفهوم (الشريك) في نسج التفاصيل التي يقوم عليها النص الروائي، فقد صور "بشير مفتي" مدينة قسنطينة في قصته القصيرة الموسومة بـ "في مدينة الآخرين" قائلا: "كانت قسنطينة أجمل من أن تصفها عين كاتب ومع ذلك كنت أشعر بضيق وبخوف داخل الأزقة المتناسلة كمتاهة ورائحة التاريخ المنفلتة من جدران صدئة، لم يعد هنا ما يشير إلى قيمتها، كنت أسير وكأنني في جنازة".¹¹

ولا نبالغ إذا قلنا أن المدينة في أحد تحولاتها كانت شخصية موازية للشخصيات الرئيسية، بل محركا للحدث وبؤرة هامة لمجمل تفاصيله، فتمددت لتشكل فضاء له، كون الأخير أوسع في المفهوم؛ فهو كما عبّر عنه أحد الكتاب: الجزر المحددة المتموضعة على البحر الشاسع أو السفن الطافية على سطحه والسابحة على مائه¹².

كما عملت القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة على تجاوز النمط التقليدي في الكتابة الروائية منتهجة سياسة التحري في تحريك مضمر النص واللعب على خاصية

مختلفة لتعكس ما مضى وتبني لنفسها صورة مغايرة ومختلفة شعارها الجدة، ولعل المتمعن في تفاصيل الجديد أو المغاير الذي ارتآه الروائي الجزائري طقسا جديدا يفاجئ به قارئه، يجد أن ملامح التجديد لم تقتصر فقط على تغيير المواضيع وجعلها أكثر جرأة؛ بل إن اختلاف الطرح قد أسس لفكرة جديدة مفادها التعبير عن حال الفرد وما يختلجه؛ من خلال كسر الطابوهات والولوج إلى المحرم لبناء فكر قائم على حرية البوح؛ لذا تأسس النص الروائي الجزائري على تخطي خاصية كرونولوجيا الزمن في الأعمال وراح القاص يزاوج بين ما مضى وما هو آت ، كما فتح للشخصيات أكثر من منفذ تعبر فيه بحرية عما يخالج تطلعاتها التي قد تلتقي مع ما يتطلع إليه الفرد القارئ بوصفه متلقي (قابل/رافض) .

كما نلمس مظاهر التجديد ولامح المغايرة في الحوار الزمكاني المؤسطر، من خلال استدعاء الكاتبة "نسيمة بوصلاح" لشخصية شهرزاد في قصة " كان وطننا الصغير" حيث لم يكن بليلة العاشرة بعد الألف قمر، ولم تكن لشهرزاد حكاية تحشو بها أذن الشتاء..المدينة باردة جدا، والدروب لا ترحم شعوب المرايا وانقطاع الأمنيات، وأنت لم تعد تقدر على النوم بعيدا، كن حكايا لنبض"¹³ إن في هذا المقطع غنائية تتهدى فيه الكلمات في فضاء يعبق بالتاريخ وإحياء الذكريات.

4- التداخل الأجناسي في القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة

أثنت الثورة الجزائرية القصة القصيرة فمثلت مرحلة الانطلاق الفعلي والفني لها وأساسا لبنائها، فقد استمد الكتاب أبطالهم من الثورة "من دنيا الواقع وسط الدم واللب" ¹⁴ بعد أن كانت قبل ذلك مدلولاتها من صنع الخيال ، فلغة الحكيم غير كافية لتنسحب وتفسح المجال للشعر مترجما خلجات النفس وإحياءات الروح؛ تقول نسيمة بوصلاح في قصتها القصيرة " الباقي من العجلات": " أذكر يومها، أمطرت كثيرا في قسنطينة، وأمطرت كثيرا في ضفة ما من ضفاف القلب...يومها.. لم يعد للمساءات نرد ولا مقهى.. ولا أعقاب سجائر.. يومها أذكر أنني نسيت كل شيء..إلاك أنت المعلق في نقطة ما من السماء، نسيت كل شيء فلا شيء يهم..ما يهم حقا.. هو أنك هناك.. هو أنني حزينة حد الوجع.. هو أن أغنية طاغية.. يصير على أن تنبعث بكل الألم الممكن لتختزل كل الأغاني ¹⁵:

ويأتي المقطع الشعري الشعبي ليكمل تشييد المعنى في قصة " كنت يوما بشكل الرطب" تقول: " كان والدك أو والدي حلاقا.. تتكاثر بين يديه الرؤوس، وكانت فاتحة موسم الأغاني لديه تقول:

نجمة يا نجمة ما بقالك صواب فاللوم عليّ غديث لقدّام فالشايع والباطل
ابقاي بالخير يالمتمـــــومة بيّ هذا آخر وداعنا والوعد كمل"¹⁶

نخلص إلى أن توظيف الشعر السمعي والفصيح في القصة الجزائرية القصيرة، أدى إلى تناسل دلالات جديدة وانفتاح آفاق واعدة يتواشج الشعر مع السرد فيها ويكون توليفة فنية، ينتقل المتلقي من خلالها من جنس أدبي إلى آخر.

وفي قصة " وتحضرين على الهوامش" لوافية بن مسعود لشعر نزار قباني، حين يقول:

" أريد أن أضع في مسجلتي شريطا لكاظم الساهر، أسمع من خلاله صوت نزار قباني يردد:

يدك التي حطت على كتفي
كحمامة نزلت لكي تشرب
عندي تساوي ألف أمنية
يا ليثها تبقى ولا تذهب"¹⁷

ويتفاعل القاص الجزائري عيسى بن محمود بالمقاطع الشعرية ، ويعمل على إشراك قارئه بعالمه وذلك ما يتجسد في قصة " مهمة ابني إنسانية" من خلال مقطع شعري لمحمود درويش في رصد شعري لمعاناة الفلسطينيين يقول:

" دخلت ماما تحمل صينية القهوة، صوت المذياع لا يزال هادرا:

أبي من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا
امتدت يده مرة أخرى إلى المذياع:
أنا لا أكره الناس
ولا أسطو على أحد
ولكني إذا ما جعت
أكل لحم مغتصبي"¹⁸

كما نجد في قصة معاناة للكاتبة دنيا زاد بوراس توظيف لمقطع شعري/ نثري، يناجي فيه الابن أمه ويعكس تقديره لها: " كل معنى في الحياة، وكل سر من أسرار النفس، لا يستطيع أن يفسر ما بداخل محمد يناجي أعز مخلوق له في الوجود كيف وسبحانه يوصينا بها ويجعل رضاها من رضاه وحبها من حبه..

يناجي محمد أمه قائلا:

أما يا منبع الحنان الصافي

أمي يا رمز الخير الجاري

أمي يا صورة الكون الجميل

يا أروع رسم في خيالي

أنت.. أنت الهناء...!

أنت.. أنت الرجاء..!

أنت الأمل.. أنت الوجود.. أنت الحياة

ابتسامتك حنان تدفعني لتحقيق ذاتي...

لوعشت أقبل يديك ورجليك ما وفيتك حقك!"¹⁹

هي مقاطع تقريرية عادية لا تختلف عن لغة القصة إلا في معمارها وتموقعها في شكل سطور مثل الشعر.

وإلى جانب تواجد مقاطع شعرية في متن القصة الجزائرية القصيرة، جاءت تجربة "لامية بلخضر" مغايرة حيث حرصت على توظيف النص الشعري في مجموعتها، حيث قدمت لمجموعتها "عصي على النسيان" بنص عنوانه " فرش لما يأتي" يتحدث عن الرحيل أيضا والفراق واللقاء تقول فيه:

" أرى أنه حان وقت الرحيل

وكنا إذا أنت تأتني تزور

وحين كنا التقينا لماذا

وفي ليلة الموت جاء يتمم

لماذا وقالت لم نرحل؟

ولم يبق في ملكنا غير العويل

يضيع الضياع ويفنى العويل

في يومها جاء وقت الرحيل؟

أيا مهجتي جاء وقت الرحيل

فالحب لا ينحني ولا قد يستقيل!"²⁰

نخلص في الأخير إلى أن القصة الجزائرية القصيرة اغترفت من معين الثقافة العربية والغربية على حد سواء، واستطاعت بفعل التجريب أن تواكب الحركة الأدبية العالمية.

- وعليه فإنَّ السرد الروائي العربي قد شكل مرجعية لأغلب النصوص الأدبية الجزائرية المعاصرة ؛ عبر اتّخاذه أشكالاً متعددة ويظهر ذلك في أن:
- تأخر ظهور القصة الجزائرية القصيرة بفعل عوامل تاريخية، أبرزها الاستعمار الذي عطل وتيرة النمو على كافة الأصعدة ومنها الصعيد الأدبي.
 - بروز مظاهر التجديد وملامح المغايرة في الحوار الزمكاني المؤسّطر، من خلال استدعاء أدباء القصة القصيرة لشخصيات من التراث.
 - عملت القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة على تجاوز النمط التقليدي في الكتابة الروائية، منتهجة سياسة التجريب في تحريك مضمير النص واللعب على خاصية مختلفة لتعكس ما مضى وتبني لنفسها صورة مغايرة شعارها الجدة.
 - شكلت الثورة التحريرية الجزائرية مرحلة الانطلاق الفعلي والفني للقصة القصيرة وأساساً لبنائها، فقد استمد الكتاب أبطالهم من الثورة والواقع بدل الخيال.
 - الخروج من المحلية إلى العالمية (عمارة لخصوص على سبيل المثال).

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 مصطفى فاسي، القصة الجزائرية القصيرة، مجلة الثقافة، مجلة فصلية ثقافية، وزارة الثقافة، العدد 18، ديسمبر 2008، ص 129.
- 2 عبد الله ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1997، ص52.
- 3 عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص7.
- 4 عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط3، 1977، ص148.
- 4 المرجع السابق، ص 168.
- 5 المرجع السابق، ص 168.
- 6 محمد الصالح خرفي، بين ضفتين، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2005، ص17.
- 7 مصطفى فاسي، القصة الجزائرية القصيرة، ص123.
- 8 ينظر، محمد الصديق باغورة، ملاحظات عامة في القصة الجزائرية، محاضرات الملتقى الأول للأدب والفكر، ص30، 31.
- 9 محمد عز الدين التازي، جمالية القصة القصيرة، مجلة آفاق، ع 81-82، ص11.

- 10 صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ش. م. 25 ش، وادي النيل، المهندسين، القاهرة، ط1، 2005، ص3.
- 11 بشير مفتي. شتاء لكل الأزمنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص21.
- 12 ينظر: زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جانفي 2010.
- 13 نسيم بوصلاح، إشعارات باقتراب العاصفة، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004، ص45.
- 14 المصدر نفسه، ص 168.
- 15 المصدر نفسه، ص 59.
- 16 المصدر نفسه، ص ن.
- 17 وافية بن مسعود، "وتحضرين على الهوامش"، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004، ص:73.
- 18 عيسى بن محمود، رحيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص11، 12.
- 19 دنيا زاد بوراس، صرخة امرأة، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2012، ص59، 60.
- 20 لامية بلخضر، عصي على النسيان، منشورات جمعية شروق الثقافية لولاية باتنة، ط1، 2008، ص 43.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- بشير مفتي. شتاء لكل الأزمنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
- 2- دنيا زاد بوراس: صرخة امرأة، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2012.
- 3- زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جانفي 2010.
- 4- صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ش. م. 25 ش، وادي النيل، المهندسين، القاهرة، ط1، 2005.
- 5- عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط3، 1977.
- 6- عبد الله ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1997.
- 7- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.
- 8- عيسى بن محمود، رحيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

- 9- لامية بلخضر، عصيُّ على النسيان، منشورات جمعية شروق الثقافية لولاية باتنة، ط1، 2008.
- 10- محمد الصديق باغورة، ملاحظات عامة في القصة الجزائرية، محاضرات الملتقى الأول للأدب والفكر.
- 11- محمد الصالح خرفي، بين ضفتين، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2005.
- 12- محمد عز الدين التازي، جمالية القصة القصيرة، مجلة آفاق، ع 81-82.
- 13- مصطفى فاسي، القصة الجزائرية القصيرة، مجلة الثقافة، ع 7، 2005، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.
- 14- نسيمة بوصلاح، إشعارات باقتراب العاصفة، منشورات اصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004.
- 15- وافية بن مسعود، " وتحضرين على الهوامش"، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004.